والغاية من ربط الإنسان بالله تعالى أن يبقى دائم التذكر له فى جميع الظروف والأحوال وأن لا ينسى نفسه لأنه إذا نسى الله نسى نفسه . كما قال عز وجل : «نسوا الله فأنساهم أنفسهم» .

وفى نسيان النفس ضياعها وضلالها وهلاكها كما أن نسيان الشىء يضيعه ويفقده ، وفى ذكر الله ومعرفته ومعرفة النفس السعادة والفلاح فى الدنيا والآخرة .

الاهتمام بأمر الأمـــة والوطن

فرض إسلامى وواجب وطنى

الإسلام الحنيف يحث المسلم على الاهتمام بأمر أمته وبلاده لما فى ذلك من خير وقوة للفرد والمجتمع، ويعتبر المرء الذى لا يبالى بأمر وطنه وأمته خارجاً من دائرة الإسلام والمسلمين كما قال رسول الله محمد (صلى الله عليه وسلم) : « من أصبح لا يهتم بأمر المسلمين فليس منهم » . وقال الله تعالى : « ولتكن منكم أمـــة يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر » .

كما أنه يأمر بتر الخونة والمنحرفين الذين يطعنون وطنهم ويفرقون أمر أمتهم. فقد قال الرسول محمد (صلى الله عليه وسلم) :

« من أراد أن يفرق أمر هذه الأمة وهى جميع فاقتلوه بالسيف كائناً من كان » .

ولذلك يجب على المواطن أن يحرص على سلامة أمته ومجتمعه كما يحرص على سلامة أسرته وبيته ، فسلامة الأسرة والبيت من سلامة الأمة والمجتمع .

والحكمة من ذلك وقاية الأمة والوطن من الأخطار الداخلية والخارجية ومن الأمراض والآفات ، وتوفير الأمن والصحة والعافية والحيوية لها ، وبذلك تبقى الأمة قوية عزيزة يحترمها الصديق ويهابها العدو .

ونظام الحكم فى الإسلام يقوم على الشورى والديمقراطية ورغبة الأمـــة وإرادتها ولا يفرض عليها حكومة لا تريدها . ورئاسة الدولة حق شعبى عمومى ومصلحة عامة وملك عام للمواطنين جميعاً . وطريق الوصول إليها مفتوح لكل مواطن صالح كفء عقلا وخلقا وعلما ودينا وليست حكرا على شخص معين ولا لأسرة خاصة ولا لفئة معينة . قال الله جل وعلا فى المسلمين الصادقين : « وأمرهم شورى بينهم » . وفى ذلك كل الخير والعدل والحق للفرد والأمة ، أما حصر قيادة الدولة فى جماعة معينة فيحرم الأمة غالباً من ظهور قادة صالحين أكفاء ، فإذا كان طريق الوصول إليها

مفتوحا لكل مواطن كفء صالح فلا يصل إليها إلا الأكفاء الصالحون ، أضف إلى ذلك أن جعلها ملكا متوارثا فيه هدم لمبدأ تكافؤ الفرص والحرية الفردية والمساواة وفيه تمييز طبقى واستعلاء ورفع أسرة معينة فوق سائر المواطنين .

وهذه هى روح الحكم وجوهره ولبابه فى الإسلام أما شكل الحكم ومظهره فيخضع لحكم الزمن وظروف الحياة وتطوراتها . كما قال أحد الشعراء :

« لكل زمان دولة ورجال » .

والفرد فى المجتمع الإسلامى يعيش حراً كريماً مصون الحق والكرامة فى نطاق المحافظة على حق الجماعة وحفظ كرامتها . ويتمتع بحرية الكلمة والحركة فى إطار الحق والفضيلة وخدمة الأمة وبناء الوطن ، فالفرد يستمد قوته وحياته الحرة الكريمة من قوة أمته وحياتها الحرة الكريمة فإذا انسلخ عنها ذبل وهلك كما يجف الغصن إذا انقطع عن أمه الشجرة .

والمصلحة الفردية الخاصة تدور فى فلك المصلحة العامة وترتبط بها ارتباط الجزء بالكل والفرع بالأصل والغصن بالشجرة ، لأن حياة المصلحة الخاصة من حياة المصلحة العامة كما أن حياة المواطن من حياة الوطن . فلا عز ولا تقدم لأمة تداس فيها كرامة الفرد

ويؤكل حقه ويغلق فمه وتغل يده ورجله وتلغى شخصيته وتنحر فيها المصلحة العامة على مذبح الأنانية والمصلحة الشخصية .

* * *

ولن يقدر لروح الحكم أن تنمو وتثمر ثمرات طيبة إلا بمسئولين يعرفون الله ويتقونه ويتحلون بعقول واعية مستنيرة وضمائر حية نبيلة ، وما ابتلى الإسلام فى شتى عصوره بأسوأ من مسلمين لا يخافون الله ولا يتقونه فهم العدو الداخلى للإسلام وهم أعدى أعدائه . لذلك حرص الإسلام الحنيف على غرس العقيدة الراسخة فى نفس المسلم وبعث الضمير الحى فيه وإشرابه مكارم الأخلاق. والعدالة تتحقق بالضمائر الحية والأخلاق الكريمة وتقوى الله أكثر مما تتحقق بالقوانين والدساتير والقرارات فالضمير أولا والقانون ثانياً والقاضى المؤمن التقى قبل القانون .

* * *

والإسلام الحنيف يأمر بطاعة الله والرسول وأولى الأمر الصالحين كما قال الله تبارك وتعالى: «أطيعوا الله والرسول وأولى الأمر منكم» كما أنه يأمر بعصيان أولى الأمر الخارجين على شريعة الله وسنة رسوله والمنحرفين عن طريق الشعب . فقد قال رسول الله محمد (صلى الله عليه وسلم) : « لا طاعة لمخلوق فى معصية الخالق » .

وقال عليه الصلاة والسلام : «إن الناس إذا رأوا الظالم ولم يأخذوا على يده أوشك الله أن يعمهم بعقاب من عنده» . وقال: «إن من أفضل الجهاد كلمة حق عند سلطان جائر» .

وفى طاعة الحاكم الصالح المؤمن وفى التمرد على الحاكم الفاسد المنحرف إحقاق للحق وازهاق للباطل وخدمة للمصلحة العامة وبناء للوطن والسكوت على الظلم والباطل وطاعة المسئول الطالح الجائر مساهمة فى الظلم والباطل وتشجيع له على التمادى فى ظلمه وانحرافه . إذ لولا وجود من يسكت على الباطل ويستكين له لما كان الظالم المبطل ولولا وجود الجبناء المنافقون لما كان الأقوياء الظالمون ، لأنهم يشبون ويعلون على أكتافهم وأعناقهم .

هذا والمسئول المؤمن حقاً لا يقبل أن يسير فى طريق الانحراف والاعوجاج والباطل ويطالب من الناس أن يدلوه على عيوبه وأخطائه ويشكر من يبين له عيبه واعوجاجه قائلا له ما قاله عمر بن الخطاب رضى الله عنه : «رحم الله إنساناً أهدى إلينا عيوبنا» .

ويقول لهم ما قاله أبو بكر الصديق للشعب : «أيها الناس إنى وليت عليكم ولست بخيركم فإن أحسنت فأعينونى وإن أسأت فقومونى» .

ويقف طالباً إليهم ما طلبه عمر بن الخطاب من المسلمين : « من رأى منكم فى اعوجاجاً فليقومه » فيرد عليه المواطن المسلم الشجاع : « لو رأينا فيك اعوجاجا لقومناه بحد سيوفنا » .

فالشجاعة من الإيمان والمؤمن الصادق لا يكون جبانا بل يكون شجاعا جريئا قولا وعملا لا يخشى فى الحق لومة لائم .

وهذا ما يقوله ويفعله كل مسئول مؤمن واثق من نفسه ومتوكل على ربه، أما المسئول الذى يفتقر إلى الإيمان والطهر والنظافة فهو الذى يغمض بصره عن رؤية الحقائق الناصعة ويغلق سمعه دون الموعظة الحسنة والكلمة الصادقة ويضيق ذرعا بالناصحين والناقدين المخلصين .

والحاكم المؤمن المخلص يرى أن الحكم أمانة وتكليف وفرصة لإعلاء كلمة الله وتطبيق شريعته وإحقاق الحق وإزهاق الباطل وخدمة الأمة وبناء الوطن ، ولا يرى فيه تشريفاً ولا فرصة سانحة للوجاهة والزعامة والاستغلال والتسلط والإثراء .